ابعاد التسامح في الشعر الاندلسي

(دراسة تاريخية ادبية)

م . د . حسين علي قيس
م . د. محمود شاكر محمود
الجامعة المستنصرية / كلية الاداب

يطمح هذا البحث الى أثارة مسالة نعتقد انها تحتل موقعا متميزا في العطاء الحضاري الأندلسي، تتعلق بالتسامح الذي ساد الأندلس الاسلامية تجاه اهل الذمة اليهود والمسيح ، اللذان كانا يشكلان شريحة مهمة من شرائح المجتمع الأندلسي .

ولايخامرنا شك في ان أثارة موضوع التسامح بين الشعوب والديانات المختلفة في الحقل الاكاديمي له مايبرره ، ففي خضم صراع العولمة وسيطرة القطب الواحد وفي جو أيديولوجي تهيمن عليه مقولة نهاية التاريخ ، وتدفعه عنجهية صراع الحضارات الى الفقر البؤس ، واتباع طرق الارهاب وكره الاخر ؛ نحتاج الى النظرة الحضارية التسامحية التعايشية الأندلسية ؛ لتكريس فلسفة المحبة ، وتدريب العقول على ثقافة التكامل وقبول الأخر ، مما يلقي على الباحثين مسؤولية الكشف عن العوامل التي جمعت بين الشعوب ووحدت أهدافهم ورؤاهم .

وفي هذا المنحى يسعى هذا البحث الى الوقوف على واقع التسامح الذي ساد بين مسلمي ويهود ومسيحيي الأندلس في ظل الحكم الاسلامي الذي ناهز الثمانية قرون.

وقبل الخوض في الموضوع ولم شتاته من المفيد الاشارة الى ان التسامح في هذه الحقبة التاريخية المعالجة لايمكن تعميمه على كل المدة التي استغرقتها عمر الدولة الاندلسية الاسلامية ، ولا على كل المناطق التي خضعت لسيطرتها ؛ لوجود بعض الاستثناءات التي سارت عكس التيار ، بيد ان هذه الاستثناءات لاتلغي صحة قاعدة التسامح والتعايش بين الاديان الثلاث ، فقد نهل الجميع من مبدا التسامح،وسياسة التعايش بين مختلف الاجناس ، والتي دعا اليها الاسلام .

كانت الاندلس مثالا بارزا وانموذجا واضحا للتسامح خلال تاريخها الاسلامي على العموم ، ونجد ملامح هذا التسامح تبدو منذ فتح الاندلس ، اذ التزم المسلمون لاهل الذمة بعهد يمتعهم بحرياتهم ، ويبقى على اموالهم وممتلكاتهم ، ويحمي اماكن عباداتهم ، تمثل بعهد عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير حاكم الاندلس قبل الفتح الاسلامي : ((اذا نزل على الصلح فان له عهد الله وميثاقه ، وما بعث به انبياءه ورسله، وان له ذمة الله عز وجل وذمة محمد ، الايقدم له والا يؤخر لاحد من

اصحابه بسوء ، وان لايسبون ولايفرق بينهم وبين نسائهم واولادهم ، ولايقتلون ولاتحرق كنائسهم ولايكرهون على دينهم)) (1)

ان سماحة الاسلام في هذه الوثيقة تتمثل في حرص المعاهدة على سلامة العقيدة ، واطمئنان النفوس ، واحترام دور العبادة ، وحقوق البشر . وهذه المثالية لم يحققها غير الاسلام ، سواء في الجانب التنظيري او التطبيقي ، فقد اتسم الموقف العربي الاسلامي من الديانتين اليهودية والمسيحية في الاندلس بالايجابية .

فيهود الاندلس تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية ، واتيح لهم المجال للمشاركة في النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية ، وهو ماحرموا منه ايام الحكم القوطي الذي سبق الحكم الاسلامي في الاندلس ، فقد تعرض اليهود في تلك الفترة للاضطهاد والتعسف ، ومن نماذج هذا التعسف وذلك الاضطهاد ، القرارات التي اتخذها المجلس الكنسي الذي عقد في البيرة عامي 303-304م ، وتتلخص قراراته في النداء الذي وجهه المجلس للمسيحيين بعدم مخالطة اليهود في المسكن والملبس ، وازداد الطين بله بعد حكم الملك ريكاردو بين الاعوام 574-601م ، فقد منع زواج المسيحيات من اليهود ، وضرورة تعليق اليهود لاشارات مميزة في مكان ظاهر حتى يعرفهم الجميع ، فضلا عن فصله كل اليهود الذين يعملون في الوظائف الحكومية (2)

ولعل هذه السياسات المتطرفة هي التي دفعت يهود الاندلس الى الترحيب بالفتح الاندلسي ،نتيجة معاناتهم المريرة من قبل القوط . (3)

وقد بدا هذا الترحيب جليا من خلال المساعدة التي ابداها اليهود للفاتحين من خلال عدة طرق ، منها الادلاء اليهود الذين استفاد منهم طارق بن زياد في اباطيح الاندلس الفسيحة ، التي لم يكن المسلمون يعرفون عنها الكثير ومنها مافعله يهود اشبيلية وما جاورها من اصقاب ، من فتح ابواب الحاميات التي كانوا يحرسونهاامام الجيوش الفاتحة . (4)

وقد وجد يهود الاندلس في الحكم الاسلامي السمح ضالتهم ، فقد منحهم ادارة شؤونهم اليهودية دون تدخل ، وتشير الروايات اليهودية الى ان رئيس الطائفة اليهودية في الاندلس كان يسمى (ناسي- nasi)، وهي كلمة عبرية تعني الرئيس وكان يختار من قبل الطائفة اليهودية نفسها ، وقد تمتع هذا الرئيس بنفوذ سياسي واقتصادي واجتماعي . (5)

اما مسيحيو الاندلس فقد ((تمتعوا في ظل الحكم الاسلامي بدرجة كبيرة من التسامح)) (6)

ولعل في كتاب ابن الحرالي (7) الى قسيس تركونة (8) ما يكشف اللثام عن طبيعة الاجواء المتسامحة التي القت بظلالها على افياء الاندلس ، فقد كتب قائلا : ((بسم الله ولاحول ولاقوة الابالله ، الذي خلق البشر كلهم من نفس واحدة وبرا ابدانهم كلها من اديم الارض الواحدة ، فجعلهم بالحقيقة

ذوي رحم واحدة ،ولو تعارفوا حق المعرفة بما اشتركت فيه ابدانهم ، وانفردت بالنفس الواحدة نفوسهم وتحقق بروح الله ارواحهم ؛ ما تقاطعوا ولاتسافكوا الدماء)) (9)

النص يكشف انسانية البشر الذين يجتمعون بخصائص لوتدبروها لما اختلفوا يوما ما ، ولعل في تكرار كلمة (واحدة) اربع مرات ما يدل على كثرة العناصر التي توحدهم : النفس ، والارض ، والرحم ، وفوق كل ذلك وجود اله واحد ورب كريم يرعاهم وهم اليه يلتجئون .

وقد وجد هذا النص وسواه صداه في الحياة العامة بالاندلس ، فمن تجليات التسامح والتعايش – على سبيل المثال لا الحصر– مشاركة المسلمين للمسيحيين احتفالاتهم الدينية ، مثل عيد المسيح او عيد سان خوان احد امراء اسبانيا . (10)

وهذا الجو التسامحي التعايشي لم يكن حاضرا على المستوى الشعبي فقط ، وانما وجد نظيره على المستوى الرسمي فحاكم الاندلس في العصر المرابطي علي بن يوسف تاشفين كان يوصف ب ((صديق المسيحيين)) (11)

ويبدو ان هذه الصداقة وما استتبعها من علاقة حميمة جعلت القديس (خوان دي اورتيجا) يحمل اسم علي بن يوسف على ثوبه الذي يرتديه في القداس ، الذي مازال محفوظا بكنيسة : كينتانا اورتوينو في اسبانيا (12).

ان ما يحسب للاندلسيين اعترافهم بالشرائع السماوية واقرارهم بها ، دون ان يكون عليهم رقيب او حسيب ، ومحاربتهم للتعصب وخلقهم جوا من التسامح بين الاديان الثلاث ، فقد قدسوها ورفعوها الى حيث ينبغي ان تكون ، حتى لاتنغمس في حماة الاهواء الضيقة .

ان الدين الحق هو دين المعاملة ، وهو الحب الانساني الذي يقوم على احترام القيم الخلقية ، والارتقاع بها الى حيث ينبغي ان تكون شاملة وعامة .

ولعل في قصة اصحاب السمكة ما يؤكد مانسبناه للاندلسيين انفا : يقول ياقوت الحبشي احد اتباع الشيخ الصوفي الاندلسي ابي العباس المرسي : كنت في منطقة كثيرة السمك ، فوصل فقير من عند الشيخ المرسي يطلب سمكا ، فلم اجد سمكة واحدة ، فاجتمعت برايس الشبكة وطلبته في الصيد ، فقال لي : ان هذا الريح ما تصاد معها سمك ولو واحدة ، وكان مسيحيا ، فقلت له ادخل على بركة الشيخ ودخل البحر ومد الشبكة ثم جرها الى الساحل ، فخرج فيها سمك كثير، وكان في السمك سمكة كبيرة مارايت مثلها ، فجاء يهودي فرمى بيده عليها وطلب شراءها فامتنعت منه ووجهت السمك كله الى الشيخ ، فلما وصل اليه ، قال لهم – بعد علمه بما جرى – ارفعوا هذه السمكة ، وردها لياقوت يعطيها لليهودي ؛ فان له زوجة حاملا اشتهت السمك وهو اليوم معدوم ، فرددت السمكة واعطيتها لليهودي واخبرته بما قال الشيخ . (13)

ان الاديان السماوية الثلاث حاضرة في هذه القصة البسيطة ؛ المشتري متصوف مسلم ، والصياد بحار مسيحي ، المهدى اليه مواطن يهودي .

اما البحار المسيحي فيدخل البحر ببركة المتصوف المسلم ، والله تعالى لايخيب رجاءه فيه فيعود بصيد وفير . والمتصوف المسلم يهدي –عن طيب خاطر – السمكة الى اليهودي؛ لان زوجته اشتهت السمك وهي حامل ، فهو يهديها في نهاية الامر الى حملها ، أي الى الانسان مطلقا ، بغض النظر عن دينه وجنسه .

ولعل هذه الصورة المشرقة وتلك السياسة التسامحية في الاندلس ، جعلت المنصفين من كتاب الغرب قبل العرب يشهدون عليها ، ويعترفون بها .

فهذا (ماكس) احد مفكري الغرب يشيد بالمعجزة الاسلامية – كما يسميها – والنظرية الحضارية الاندلسية التي تقوم على احترام الخصوصية الثقافية للاخر وترفض الصدام والاقصاء بقوله : ((مثلما عرف التاريخ المعجزة اليونانية ذات مرة في الازمنة الغابرة ، فقد عرف ايضا المعجزة الاسلامية في عصوره الوسطى ، تلك المعجزة التي اهتدى بها الاوربيون في صياغة نهضتهم الحديثة)) (14) ، ذلك ان الاسلام بعقيدته ومبادئه واهدافه وسلوكه هو دين الحياة والنهضة بشقيها : العلمي والتعاملي .

فالدين الاسلامي يدعو الى التسامح والعمل به ، فلاغرو ان تعد ((بلاد الاندلس ابرز ارضية حوار ومواجهة بين الاسلام والمسيحية واليهودية ، حيث تفاعلت المواريث العقائدية لتصوغ شكلا حضاريا تميز بابداعاته في مختلف المجالات المعرفية والاجتماعية والسياسية والعمرانية ؛ وذلك نظرا لما اسبغه الاسلام على الحياة في الاندلس من مظاهر التالف والتسامح)) (15)

فلا مناص – والحال كذلك – من الاعتراف ب ((تميز الحكم في الاندلس بظاهرة التسامح حيال المعتقد والتعامل مع اهل الذمة ، فكل اليهود والمسيح حافظوا على معتقداتهم)) (16)

هذا التسامح الذي ميز الحياة بكل مفاصلها في الاندلس في ظل الحكم الاسلامي ؛ كان المحك الذي تم به اختبار القيم الاسلامية ؛ فكل عقيدة تقاس بحرصها على احترام تلك المبادئ وهاتيك القيم التي اشار اليها المنصفون الغربيون .

ومع ذلك فان الاندلس لايبرا من فترات اتسمت بها مواقف السلطة بالتشدد ازاء اليهود والمسيح(17)

الا ان تلك الحالات لاتصبح لها اهمية عندما ننظر بعمق للنسق العام الذي صارت علية علاقة الدولة مع اهل الذمة ، فالباحث الموضوعي لايصدر احكاما عامة من خلال حالات خاصة ناسيا ما سواها .

حتى حروب الاسترداد – كما يسميها الغرب – التي دارت رحاها على ارض الاندلس لم تكن الا ذات (نزعة وطنية اكثر منها دينية ، ولكن المحاربين حاولوا جهد طاقتهم ان يقحموا الدين في خصوماتهم ؛ استكثارا للاتباع واثارة للنفوس)). (18)

ان اهم استنتاج يخرج به الباحث في هذه الجولة ان اهل الذمة في الاندلس كانوا منخرطين بصورة طبيعية في المجتمع الاسلامي الاندلسي ، ونعتقد بان كل الحالات التي عدها البعض نوعا من التعصب والتشدد ؛ انما كانت ناتجة عن محاولات قام بها بعض اهل الذمة لتجاوز الوضعية القانونية التي ينتظم في اطارها وجودهم ، وتتحدد بها حقوقهم وواجباتهم .

وياتي الشعر ترجمانا لكل ما اوردناه ، ورحيقا من ازهار التعايش الاندلسي وعنوانا لواقع التسامح الذي ساد ربوع الاندلس .

وبعد تقصي النصوص الشعرية الاندلسية ، وجدنا طائفة من النصوص يمكن ان تتخذ دليلا على التسامح ، ونستطيع تعميمها على المجتمع الاندلسي ؛ بوصفها من قبيل الخاص الذي يفيد التعميم، فهي نتاج شعور انساني اخذ مرجعيته من الاديان السماوية السمحة ، ويمكن حصر هذه النصوص الدالة على التسامح في بعدين :

البعد الاول : حضاري تعايشي : ومفهومه : هو الاعتراف بالاخر المخالف في الراي والمبدا ، وامكانية الاقامة معه في مجتمع واحد ، ومد العلاقات معه ، والاقرار له بحريته العقائدية والمذهبية .

ونرى صدى هذا البعد في طائفة من النصوص الشعرية الاندلسية ، فهذا ابن الحداد يهيم بحب فتاة مسيحية : (19)

قلبي في ذات الاثيلات
رهين لوعات وروعات
وعرجا يافتيي عامر
بالفتيات العيسويات
اهيم فيها والهوى ضلة
بين صوامع وبيعات

ان قلبه في ذلك المكان رهين اللوعة والخوف معا ، وهذا يضفي على البيت مسحه من الجمال اللفظي ، تتمثل في ذلك الجناس الناقص بين (لوعات ، وروعات) . ونراه يشير بالانعطاف نحو تلك الفتيات المسيحيات ؛ لان بينهن من احب ، فهي تلك الفتاة المسيحية (نويرة) التي تنتقل بين اماكن عبادة قومها (صوامع ، وبيعات)

ويخاطبها في الابيات الاخرى مستشفعا بحق نبيها – ونبينا – عيسى ان تريح قلبه مما يقاسيه من حرارة الوجد ، من خلال تلاعبه اللفظي ب (عساك ، عيساك) : (20)

عساك بحق عيساك
مريحة قلبي الشاكي
فان الحسن قد ولا
ك احيائي واهلاكي
واولعني بصلبان
ورهبان ونساك

وذكر الشاعر هنا للصلبان والرهبان كان من باب الاعتراف بهم ، والايمان بحق الاختلاف .

بل ويذهب الشاعر الى ابعد من ذلك حين يجعله حبه الانساني يتنقل بين الاديان ، فتارة مسلم ، واخرى مسيحي : (21)

وفي شرعة التثليث فرد محاسن
تنزل شرع الحب من طرفه وحيا
واذهل نفسي في هوى عيسوية
بها ضلت النفس الحنيفية الهديا

فلما كانت الاديان السماوية ترجع الى نبع واحد ، فالشاعر – والحال هذه – لم يعد يفرق بين دين واخر ، ولايجد حرجا من كونه مسلما او مسيحيا ، ما دامت هذه الاديان متساوية في اهدافها وغاياتها السامية التي جاءت من اجلها ، انها جميعا تدعو للقيم الانسانية ، وهذه امور ثابتة لايختلف عليها اثنان الا من فرخ التعصب في عقله وبنى اعشاشا على قلبه .

وايمانا من الشاعر ابن الحداد بدين (نويرة) ارتاى ان يقص قصة حبه على القس عساه يزوجه بها فينقذه من الموت المحتم (22)

ولابد من قصي على القس قصتي
عساه مغيث المدنف المتغوث
فلم ياتهم عيسى بدين قساوة
فيقسوا على مضنى ويلهو بمكرث

فالشاعر واثق من ان القسيس الذي يعمل بتعاليم المسيح سيكون متسامحا معه ؛ لان الدين المسيحي دين تسامح لاقساوة .

هذا الحب الانساني الذي لايعرف حواجزا بين الاديان كان حاضرا في شعر محيي الدين بن عربي:(23)

لقد صار قلبي قابلا كل صورة
فمرعى لغزان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف
والواح توارة ومصحف قران
ادين بدين الحب انى توجهت
ركائبه ، فالحب ديني وايماني

الشاعر ينظر الى الاديان من خلال ما جاء به الانبياء : موسى وعيسى ومحمد لامن خلال الحقد الذي يحمله اصحاب كل ديانة نحو الديانات الاخرى ، فكاني بابن عربي يضع الناس امام مسؤولياتهم ، وان يكونوا عونا للانسانية ؛ لكي تتخلص من الضلال الحقيقي ، وان لايندفعوا نحو تصرفات لاتتلاءم اصلا مع القيم الانسانية والخلقية ، وان عليهم ان يراعوا الشعور الانساني .

ان الاديان السماوية – على اختلاف منابعها الاصلية – لم تكن غير مجموعة من المثل الاخلاقية والاحكام الثابتة التي تمتلك قابلية البقاء والدوام ، ومن مصلحة الانسانية ان تاخذ بها ، لانها لاتخرج عن تحديد علاقة الخالق بالمخلوقات او علاقة المخلوق بمن حوله ، ولايعقل اصلا ان تكون هذه القيم والاحكام اداة للفرقة بين المخلوقات .

ويبدو ان الشاعر ابن سهل قد فقه هذه الامور ، فلم يعد لديه فرق ان يكون يهوديا او مسلما ، او ان تبدل هذه الشريعة بتلك ، او ان يهتدي لهذا او ذاك : (24)

تسليت عن موسى بحب محمد
ولولا هدى الرحمن ماكنت اهتدي
وماعن قلى فارقت ذاك وانما
شريعة موسى بدلت بمحمد

لقد ايقن شاعرنا ان الغاية الكبرى للاديان والمذاهب جميعا هي سعادة الانسان ، فاعتناق أي دين كان يعد ضرورة اجتماعية تقودنا الى الهدى والايمان فليس الدين – أي دين – غير مشعل يضي دروب الحياة الى شاطي الامن والاستقرار .

فكان ابن سهل عامل هدم لكثير من الافكار البليدة التي تلبس لبوس الطائفية والدين والتي تعرقل الانسانية في تقدمها نحو حرية الفكر والتعبير عن المعتقد : (25)

يسائلني من أي دين مداعبا
وشمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفي ولكن مقلتي
مجوسية من خده النار تعبد

وختاما لهذا البعد نقول : الاديان بطبيعتها انسانية تدعو الى السلام والوئام ، فالدين – أي دين كان – لايمكن ان يكون مسؤولا عن التدني والانحدار ، والذين يتحملون ذلك هم بعض اتباعه ، الذين راحوا يوزعونه على الناس باسم الدين، فالدين الحق هو الذي يدعو الى التعايش الحضاري مع الاخر ،واتباعه هم الذين يجعلون ذلك امرا واقعا ، ومثالا تطبيقيا على الارض .

البعد الاخر : فكري اخلاقي: ومفهومه : هو ان تترك لغيرك حرية التعبير عن ارائه وان كانت مضادة لارائك ، والا تعتقد ان تركك الناس وماهم عليه من افكار منه تجود بها عليهم ، وانما هو واجب اخلاقي نابع من احترام الذات الانسانية .

فبعض اهل الذمة في الاندلس عبروا شعريا عن اراء تتقاطع مع المفاهيم الاسلامية للدولة الحاكمة ، ومنها ان القدس هي الملاذ الامن لليهود ، والتي يرونها – أي القدس – اسيرة بيد الفلسطينيين العرب المسلمين ،ولابد من استرجاعها .

فهذا الشاعر اليهودي سليمان بن جبريل يعبر عن حنينه للعودة الى القدس الاسيرة : (26)

اسيرة بنت صهيون القدس
كما اقسمت من اجلك
سمعت صرختك
وصعدت الى مقري
واجبتك لاني رحيم ها
قد اقسمت ان اجمع شعبي الاسير

فالشاعرهنا يتضرع في هذه الابيات الى الرب لينقذ اليهود من العبودية في الشتات – كما يسميها – مع تاكيده ان الرب لن يغفل عن اليهود ولن ينساهم ، وسيجمع يهود الشتات في القدس موطن اليهود الاصلي .

والى هذا المنحى يذهب كذلك الشاعر اليهودي يهودا اللاوي في قصيدته المعروفة باسم الصهيونية : (27)

صهيون ، هل تردي تحية سباياك
الذين يقرئونك السلام ،وهم البقية من قطيعك

تقبلي سلامهم الموجه من الشرق والغرب ، والشمال
والجنوب ، والقريب والبعيد من كل حدب وصوب
سلام سجين الامل الذي يذرف الدمع كطل
ساسجد بوجهي على ارضك واتوق
الى احجارك واطلب الرحمة من ترابك
اتجول في سهولك وبساتينك حتى اصل جلعاد
هواؤك ينفث الحياة في روحي واتوق الى الحرية
رمالك زكية . عسل يسيل من جداولك
ما اسعدني لوذهبت عاريا حافي القدمين
الى جبالك المتهدمة والى قدس اقداسك
حيث كان تابوت العهد مكنوزا

الشاعر هنا على الرغم من الحرية الذي كان يتمتع بها في الاندلس واقرانه الاانه كان يعد نفسه سجينا ، فهو دائم الشوق والحنين الى فلسطين ، وزيارتها تبقى الهدف الاسمى له في حياته ، ولايكتفي بهذا بل يصورها بحالة مزرية بدونه وقومه من خلال الايحاء الذي تفرضه عبارة (جبالك المتهدمة) ، فهو يرى ان سكان فلسطين جعلوها خرابا ، وبه وبقومه ستكون جنة يؤمها الناس .

هذه الاراء التي طرحها كلا الشاعرين في ارض الاندلس الاسلامية تخالف المبدا العام للمسلمين اصحاب القرار في الارض الاندلسية ، فاهمية القدس لدى المسلمين تنبع من كونها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، فضلا عن كونها عربية الاصل ، وعروبة فلسطين باتت من المسائل المحققة علميا ، والمتواترة تاريخيا وسياسيا . (28)

بيد ان هذه الاراء التي طرحت لم تثر مشاكلا ولامضايقة للشاعرين ولاقومهم ولم تحفظ لنا المصادر شيئا من هذا القبيل ، بل العكس كان حاصلا ، ففسحة التسامح في هذا البعد الفكري الاخلاقي وفرت لهؤلاء وغيرهم مجالا لابداء ارائهم وتدوين افكارهم ، بعيدا عن سياسة تكميم الافواه وعقد الالسن .

ويبدو ان هذه الفسحة وذلك المجال هو ما دفع كذلك بعض الشعراء المسيحيين الى التعبير عن اراء مخالفة وافكار مناهضة لاراء الدولة الحاكمة وافكارها.

ولعل في شعر احمد بن غرسية شاعر مجاهد ملك دانية والمقرب اليه مايدل على ذلك ، فهذا الشاعر المسيحي كان متعصبا لابناء جلدته في مجتمع لم يعبد الطرق ولم يمهد السبل لهكذا عصبية ، وكان يضمن اشعاره ابياتا من عصبيته من خلال مديحة لمولاه مجاهد : (29)

ان اصلي كما علمت ولكن
لساني اعز من سحبان
وانا من خير الملوك بصدر
هل ترى بالقناة صدر السنان

ويذهب في الفخر بقومه ابعد من ذلك ، حين يرى ان المسلمين ما كانوا الاعبيدا لقومه واسياده: (30)

امكم لامنا كانت امه
ان تنكروا ذلك تلفوا ظلمه

وهومؤمن كذلك ان قومه هم الذين ملكوا البلاد والعباد، ثم منحوا بعد ذلك – تكرمة – العرب التوفيق : (31)

هم ملكوا شرق البلاد وغربها
وهم منحوكم بعد ذلك سؤددا

ويبين ان ماقاله لم يكن الاحقائق حكاها الناس قبله (32)

يابن الاعراب ماعلينا باس
لم احك الا ما حكاه الناس

وحال هذا الشاعر لم يختلف عن حال سابقيه ، فكلهم كان ينعم باجواء التسامح وحرية التعبير، وان كانت مخالفة للاخر ، بدون ان يلقوا نتيجة هذه الاراء أي رد فعل يثلم انسانيتهم او ينتهك حقوقهم.

واجمالا لما مضى : لاغرو فقد كشفت هذه النصوص التاريخية والادبية مناخ التسامح الذي خيم بضلاله على ربوع الاندلس ، ببعديه : الحضاري التعايشي والفكري الاخلاقي .

فهو المجتمع الذي تصالح فيه المسلم مع اليهودي مع المسيحي ، وهو مجتمع التعدديه الذي تعايش فيه العربي جنبا الى جنب مع البربري والمولد والمستعرب والقوطي ، حيث تناغمت جهود العطاء الحضاري ، وتكاتفت سبل العطاءوكرمه من اجل صياغة مجتمع انساني خالد ،سجل التاريخ ابداعاته، ودون تسامحه.

واذا كنا قد خرجنا بهذه الخلاصة التي تعكس الصورة المشرقة في هذا الجانب فان هذا الحكم لايعد قاعدة ثابتة ، بل ثمة استثناءات قليلة شاذة لاتدخل تحت حكم ولاتندرج تحت مبدا ، وهذه الاستثناءات طبيعية عرفتها كل المجتمعات قديما وحديثا

الهوامش

1- نصوص عن الاندلس ، العذري ،تح : عبد العزيز الاهواني ،مدريد ،1965، ص200.

2- ينظر: اليهود في الاندلس ،محمد بحر عبد المجيد ، الهياه المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1970 ، ص13 وما بعدها

3- قدر عدد اليهود في الاندلس عشية الفتح الاسلامي ب مائة الف يهودي
ينظر: مدينة المسلمين في اسبانيا ، جوزيف ماك كيب ، ترجمة : محمد تقي الدين الهلالي ، الرباط ،1985،ص95.

4- ينظر :فجر الاندلس ، حسين مؤنس ، الدار السعودية للنشر ، جدة ، 1985، ص87وما بعدها

5- Ashtor,the jews of muslem,vol.3,p72-90

6- المدينة الاسلامية واثرها في الحضارة الاوربية ، سعيد عبد الفتاح عاشور ط1، 1963، ص206.

7- متصوف اندلسي اصله من حرالة من اعمال مرسية ، ولد ونشا في مراكش ورحل الى الاندلس ثم الى المشرق ، تصوف ثم استوطن بجاية عاد الى المشرق ، ثم انتقل الى مصر . ت838ه.

ينظر : الاعلام ، خير الدين الزركلي ، ط3 ، بيروت ،1960، 256/4

8- تركونة هي تاكرنا : اسم اندلسي كان يطلق على سلسلة الجبال الواقعة جنوب الاندلس ، وتعرف اليوم ب: سرنيادي رندة، ورندة هي عاصمة اقليم تاكرنا.
ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت ، مادة تاء ،راء

9- سبك المقال ، ابن الطواح ، تح : جمال حمادة ، ط2، 1970، ص64.

10- ينظر : الاعياد في مملكة غرناطة ، العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، م15، س1970،ص140.

11- Mensage:le christianisme en afrique. eglise .mozarabes, esclaves chretiens .alger 1915,p:8.

12- ينظر : الفن المرابطي والموحدي ، بالباس ، المغرب ، 1967، ص72.

13- ينظر : درة الاسرار وتحفة الابرار ، ابن الصباغ ، تونس ، 1304ه،

14- Max vinte joux : le miracle arabe ed. Unknown brunding 1995, p.15

15- Henri peres: lapoesie andalouse en arabe classique. Alger,la maison des livres 1959 p.252

16- Leve- provencal : histoire de iespagne musulmane paris 1970,vol III,p:458.

17- من امثلة ذلك ما حصل لاهل الذمة في عهدي المرابطين والموحدين ، فقد عرف عهد يوسف بن تاشفين بعدائه لهم والتعصب ضدهم ، مما دفع بعض اهل الذمة لاعتناق الاسلام او اتقاء الاضطهاد ببذل مبالغ طائلة من المال ثمنا لحريتهم وسلامتهم .

وكذلك الحال في عهد عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدين ، فقد بلغ التعصب والتزمت في عهده الى تخيير اهل الذمة بين اثنين : الاسلام او الهجرة والا الموت مصيرهم .

ينظر : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف اشباخ ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1940، ص482.

18- البيئة الاندلسية واثرها في الشعر ، سعد اسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة ، 1978، ص62.

19- ديوان ابن الحداد ، تح : يوسف علي طويل ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990، ص156-157.

20- م.ن، ص241.

21- م.ن، ص306.

22- م.ن ص170- 171.

23- ترجمان الاشواق ، محيي الدين بن عربي ، دارصادر ، بيروت ، 1961، ص43- 44.

24- ديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي ، تح : محمد فرج دغيم ، ط1، دار الغرب الاسلامي،بيروت ، 1998، ص 114.

25- م.ن ، ص90.

26- القدس عربية اسلامية ،سيد فرج راشد ، الهياة العامة لقصور الثقافة ،2000، ص 138- 139.

27- الادب العبري القديم والوسيط ،الفت محمد جلال ، د.ط ، 1978 ، ص 137-138.

28- ينظر تفصيل عروبة فلسطين في : التاصيل التاريخي لعروبة مدينة القدس، عبد التواب مصطفى ، مجلة رؤية ، ع27، س2004.

29- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد ، تح : شوقي ضيف ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995، 2/ 407.

30- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، تح : احسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، 1975 ، ق 3 م2 ص707.

31- م.ن ، ق3 م2 ص712.

32- م .ن ، ق3 م2 ص713.

مصادر البحث ومراجعه

اولا: الكتب العربية

1- الادب العبري القديم والوسيط ، الفت محمد جلال ، د.ط ، 1978 .
2- الأعلام ، خير الدين الزر كلي ، ط3 ، بيروت ، 1960.
3- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، سعد اسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة ، 1978.
4- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف اشباخ ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر ، 1940.
5- ترجمان الأشواق ، محيي الدين بن عربي ، دار صادر ، بيروت ، 1961.
6- درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ابن الصباغ ، تونس ، 1304ه
7- ديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي ، تح: محمد فرج دغيم ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998.
8- ديوان الحداد ، تح : يوسف علي الطويل ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 .
9- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، تح : احسان عباس الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1975.
10- سبك المقال ، ابن الطواح ، تح : جمال حمادة ، ط2، 1970.
11- فجر الاندلس ، حسين مؤنس ، الدار السعودية للنشر ، جدة 1985.
12- الفن المرابطي والموحدي ، بالباس ، المغرب ، 1967.
13- القدس عربية اسلامية ، سيد فرج راشد ، الهياة العامة لقصور الثقافة 2000.
14- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
15- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد ، تح : شوقي ضيف ، ط4، دار المعارف ، القاهرة ، 1995.
16- المدينة الاسلامية واثرها في الحضارة الاوربية ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط1، 1963.
17- مدينة المسلمين في اسبانيا ، جوزيف ماك كيب ، ترجمة : محمد تقي الدين الهلالي ، الرباط ، 1985.
18- نصوص عن الاندلس ، العذري ، تح : عبد العزيز الاهواني ، مدريد 1965.
19- اليهود في الاندلس ، محمد بحر عبد المجيد ، الهياة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1970.

الدوريات

1- الاعياد في مملكة غرناطة ، العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، م15، س. 1970.
2- التاصيل التاريخي لعروبة مدينة القدس ، عبد التواب مصطفى ، مجلة رؤية ع27، س2004.

ثانيا- الكتب الاجنبية

1- Ashtor jews of muslem ,vol.3
2- Henri peres : lapoesie andalouse en arabe classique. Alger, maison des livres 1959.
3- Leve – provencal : histoire de iespagne musulmane paris 1970,vol III. .
4- Max vinte joux : le miracle arabe ed . unkown brunding 1995.
5- Mensage : le christianisme en afrique . eglise . mozarabes, esclaves chretiens . alger 1915.